أثـر السيرة النبوية في المسيرة الدعوية

م.م. منى سلطان عطوان الكيلاني

Impact of (Alsirah Al-nabawiya) in missionary direction

TC; asst; Muna Sultan Algailani.

1. The Islamic leaders nowadays need to wisdom more than any time before , especially with the Variety of war tools against Islam which were ,psychology and intellectually, and exploiting the new social media tools that enemy of Islam try to export forbidden things ,for making Muslim faraway in their good conceptions and other tools which required from Islam leaders to have wisdom
2. the preachers of Islam have to study (sirah) biography of prophet Muhmmed carefully for supporting their missionary direction which have to focus on values ,conceptions that prophet Mohammed depend on to spread Islam which depend on the planning system in all fields of life
3. Unorganized in Islam were not found in Islam before and we could not depend on for inviting people to Islam so (Al shorah) system is the base of freedom and civil life either for individuals or for communities in Islam and the Islamic leaders could not dispense with it and it`s system of which Al-quran and Al-sunnah depended it

L'impact de la biographie de Prophète sur la marche de la prédication

Prof-ajointe: Mona Sultan Atwan Al Kilani…

1. Les dirigeants musulmans d'aujourd'hui ont besoin réellement de plus de sagesse que jamais, en particulier avec la diversité des méthodes d'ennemis de l'Islam, y compris psychologique, intellectuelle, et l'exploitation des nouveaux médias et de la commercialisation des produits interdit et d'autres moyens sur le marché islamique à fin que les musulmans s'épargnent de leur religion, et ce la exige plus de sagesse…
2. Il faut pour les prédicateurs étudient **la biographie** de prophète d'une façon approfondie à fin de soutenir leur marche par les valeurs et les principes adoptés par le prophète – PSL - dans son appel pour diffuser la pure religion islamique, et basées sur le système de la planification à tous les niveaux et tous les milieux de vie.
3. L'embarra, le spontanément et le désordre ne sont jamais d'origine l'Islamique, et ne peut pas être invoqué dans la prédication, le système de la consultation **((Alshura))** est le fondement de la liberté et de la vie civile, également chez les individus ou dans les communautés Islamiques, et que les directions ne peuvent être à l'abri, comme un système approuvé par le Coran et la Sunnah…

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن السيرة النبوية غنية بما يحتاجه الدعاة في مسيرتهم الدعوية وفيها من الوقائع والأحداث ما يستطيع الداعية الاعتماد عليه والإفادة من الهدي النبوي في المصاعب التي تواجهه في طريقة الدعوة الإسلامية وكيفية التعامل مع كل حالة ورسم الحل المناسب لها، حيث أن طريق الدعوة اليوم يمر بصعوبات كبيرة من تضارب الأفكار والمناهج الدعوية لتمرير أفكار الدعوة للناس ولعل سبب ذلك قلة إدراك الدعاة إلى فقه السيرة النبوية، والتي تحتاج إلى دراسة مستفيضة لوقائعها لربط ما بين أحداث الماضي والحاضر لأن السيرة رسمت بدقة متناهية عبر فصولها المختلفة هذا الطريق.

وكان سبب اختيار الموضوع هو متطلبات صحوة المسلمين اليوم وازدياد المد والانتشار الإسلامي في العالم وإقبال الناس من مختلف الجنسيات إلى اعتناق الإسلام وحاجتهم إلى من يرشدهم ويأخذ بأيديهم إلى الطريق الصحيح لدخول بوابة الإسلام العظيمة.

أما منهجي في البحث: فقد التزمت بالمنهج التاريخي الوصفي والموضوعي في عرض وقائع هذا البحث لنقل الحقائق وبسطها في قالب يبرز عظمة السيرة وديمومتها مع الوقائع في كل عصر وزمان لكشف الغطاء عن العديد من الأحداث النبوية وتقديمها أمام الدعاة بأبهى حلة.

وقد تطرق البحث إلى موضوعات مهمة في السيرة النبوية، فحكمة القيادة النبوية التي برزت في هذا البحث تنوعت وتعددت ما بين صفات القائد والجنود واستغلال الظروف والإفادة من المواهب وغيرها، كما تناول البحث الشورى في مختلف مجالاتها الحربية والعسكرية والحياتية.

وتطرق البحث إلى التخطيط النبوي وما ارتسمت به الخطط النبوية في ميزات المرونة والكتمان وخطط العدو وبناء الخطط على معلومات مسبقة وأشار البحث إلى كيفية التعامل في السيرة مع الخصوم من المشركين واليهود والمنافقين ثم تطرقنا إلى مواقف رفيعة أدت إلى إسلام بعض منهم.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن ينقسم إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة:

التمهيد في أهمية دراسة السيرة النبوية للدعاة.

وأما المطالب الأربعة فهي:

١. حكمة القيادة النبوية.

٢. الشورى.

٣. التخطيط النبوي.

٤. مواجهة الخصوم بين الماضي والحاضر.

ثم الخاتمة لبيان أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

ومن الله التوفيق والسداد.

تمهيد

أهمية دراسة السيرة النبوية للدعاة

إن السيرة النبوية وما جرى فيها من وقائع وأحداث دعوية تميزت بعمق المبادئ والقيم التي نشرتها عبر مراحلها المختلفة سواء في مكة أو المدينة وطرق معالجة الوقائع والأحداث التي كانت تواجه الدعوة، وأمام هذا الرافد الوافر من المواعظ والأحكام والدروس والعبر يمكن للداعية أن يعرف كل الأحداث والمصاعب التي تواجهه في كل زمان فما من حالة يكون فيها الداعي أو مشكلة يتعرض لها إلا ويوجد نفسها أو مثلها أو شبيهها أو قريب منها في سيرة النبي ﷺ فيأخذ منها الموقف السليم والحكم الشرعي إذا ما فقه معاني السيرة النبوية.

ونحن على يقين أن الله ﷻ حينما قدر في لوحه المحفوظ أن يمر الرسول الكريم بهذه الظروف المختلفة فلا بد أن يتعلم ويستفيد منها الدعاة المسلمون في كل زمان ومكان فالله عليم خبير حتى تكون في السيرة القدوة والأسوة لكل داعية ما دام الخير والشر والهدى والضلالة في سجال ومواجهة ما دامت السموات والأرض.

فالتوجيهات النبوية والتطبيقات العملية لها وما الهم الله رسوله في مختلف المواقف إنما هي سوابق ثمينة وكنز للداعية فلا يغفل أو يتغافل عنها فالسيرة يجب أن تكون موضع دراسة وتمحيص للدعاة لاستخراج كل قيمة ومبدأ لاستغلالها في المسيرة الدعوية(١).

إن البشرية اليوم تحتاج للخلاص والإنقاذ لما وصلت إليه من انحطاط خلقي وهبوط في القيمة الإنسانية أمام صعود المادة واستعباد عقول الناس بمفاهيم العولمة والرأسمالية والاشتراكية والعلمانية وغيرها من المفاهيم التي ما أنزل الله بها من سلطان وحاجة العالم اليوم لمن ينقذها من الضياع حقيقة أكدها عقلاء العالم وما من حل سوى الإسلام الذي تحاول الحكومات بمختلف مسمياتها منع وصوله إلى العباد، فما أعظم دور الداعية لينفض غبار التعاسة والرذيلة عن عباد الله ليهديهم طريق الحق والنور المبين ولن يكون

(١) ينظر أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان الطبعة التاسعة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر- بيروت لبنان، ص٤١٥.

هناك أعظم من سيرة النبي ﷺ لينهل الداعية من معينها الصافي ويرفد خبرته منها بما يستطيع من زاد في مسيرته ورحلته الشاقة.

وفي السيرة النبوية المرتكزات الأربعة لأصول الدعوة وهي الموضوع والداعية والمدعو والأساليب والوسائل فهي علم متكامل يجب الإحاطة به ومنهاج شامل مفصل لهذه المرتكزات نوجزه فيما يأتي:

١. إن وظيفة الداعية أشرف عمل لأنها عمل الأنبياء عليهم السلام فقد بين الرسول الكريم عبر مسيرته الدعوية أن الإسلام هو النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة وعبر هذا الدين تستطيع البشرية أن تصل إلى أرقى مستوياتها.

٢. الإعداد النفسي والتربوي للداعية الموجود في السيرة النبوية هو خير المصادر التي يستشف منها الداعية ما يقوم سلوكه وآدابه(١).

٣. المدعو: وهو من توجه إليه الدعوة وهو الإنسان مطلقاً قريباً أو بعيداً مسلماً أو كافراً ذكراً أو أنثى لم يفرق الرسول ﷺ في عرض دعوته بين صغير أو كبير ولم تشغله دعوة الأقارب عن الأباعد ودعوته لعامة الناس عن دعوته لزعمائهم ورؤسائهم حتى إنه لما لقي عند العقبة ستة نفر من الخزرج وهم يحلقون رؤوسهم لم يزهد فيهم فأقبل إليهم وعرض عليهم دعوته فكانوا النواة الأولى لبيعة العقبة في الوقت الذي أعرض فيه عنه كثير من الرجال وزعماء القبائل(٢).

٤. تنوعت الأساليب والمناهج الدعوية في السيرة النبوية فتارة بالحكمة وتارة بالمجادلة وأخرى بالعاطفة وأخرى بالموعظة والقدوة الحسنة وكلها تحتاج إلى دراسة متأنية للمواقف وطريقة تعامل النبي ﷺ معها.

ويذكر هنا الموقف الرائع لأم سلمة (رضي الله عنها) حينما عرضت على رسول اللهﷺ بالمبادرة إلى الحلق والتحلل ليقتدي به الناس(٣) فقد عرفت أم سلمة أهمية كل عمل يقوم به الرسول ﷺ وأن المسلمين لن يترددوا في اتباعه، وهذا ما تحقق بالفعل، وكان له أعظم الأثر في صفوف المسلمين.

---

(١) ينظر أصول الدعوة: محمد أبو الفتح البيانوني – من مطبوعات إدارة الشؤون الإسلامية وزارة الأوقاف في دولة قطر ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص١٥٤-١٥٨وما بعدها.

(٢) ينظر سيرة أبن هشام ج٣، ص٣٨٩.

(٣) ينظر البداية والنهاية، لآبن كثير، ج٢، ص٢٣٦.

المطلب الأول

حكمة القيادة النبوية

من المعلوم أنه لابد لكل أمة من قائد يقودها ويتولى تدبير أمرها وشؤون دنياها وبغير ذلك لا تقوم حضارة ولا مجتمع ولا دولة ولا يخفى أن العرب في الجاهلية كانوا قبائل شتى يحكمها النظام القبلي والعصبية القبلية وأن كل فرد مرهون بقضايا القبيلة فلم تكن لهم قيادة موحدة بسبب فقدان الضبط والنظام وسيطرة روح القبيلة عليهم[١] قال ﷻ ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[٢].

ولا شك أنهم كانوا يمتلكون صفات نبيلة كالفروسية والشجاعة والشهامة والفراسة والنباهة والاعتداد بالأنساب، إلا أن التطرف يطعن على خصالهم فالعفة قد تصل حد القتل والكرم حد التبذير وعندما ظهر الإسلام جمع شملهم وصقل خصالهم وصفاتهم وجعلهم أمة مهيبة في الشرق والغرب.

وأكد الإسلام على أهمية القيادة لما لها من دور في تصريف الأمور وجمع الناس على رجل واحد منعاً للفرقة والشتات.

والإسلام يوجب التأمير في أقل الاجتماعات فكيف بأكثرها وأهمها ويقول الإمام ابن تيمية ((فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات أن يولى أحدهم كان هذا تنبيهاً على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك))[٣].

ويفصل ابن خلدون في مقدمته فيقول (إن نصب الإمام واجب فقد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين، لأن أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا

---

(١) ينظر بين العقيدة والقيادة: محمود شيت خطاب – دار القلم، دمشق، الطبعة الاولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، النشر الدار الشامية، ص١٠٤.

(٢) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٠٣.

(٣) السياسة الشرعية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن تيمية (٧٢٨هـ) تحقيق محمد المبارك، دار المعرفة – بيروت، ص١٢٩.

إلى بيعة أبى بكر ﷺ وإلى تسليم النظر إليه في أمورهم وكذا في كل عصر من الأعصار، استقر ذلك إجماعاً دالاً على وجوب نصب الإمام[١].

ومن المعلوم أن الرسول ﷺ أقام أول دولة إسلامية في المدينة بعد أن مهد لها وهو في مكة وصار هو أول رئيس لتلك الدولة الإسلامية التي قامت في المدينة.

إن الفتح الإسلامي وانتشار الإسلام في عهد النبي وأيام الصحابة كان فتحاً مستداماً وانتشارا خالداً لأن قادة الفتح الإسلامي وجنوده كانوا دعاة ولم يكونوا غزاة فاهتموا بتعميق جذور الدعوة الإسلامية في المناطق التي فتحوها.

وكان سلوكهم الشخصي تديناً وورعاً واستقامة خير عون لهم على تحقيق أهدافهم في الدعوة إلى دين الله[٢] ولذلك يجب أن يكون الهدف الأعظم للقيادة هو الدعوة لدين الله وتحقيق الرسالة بتبليغها إلى الناس كافة ولتحقيق هذا الهدف يجب أن تتوافر صفات في القائد الذي يقود الأمة والجنود الذين يتبعونه.

فكل القادة الذين برزوا وسطر التاريخ انتصاراتهم عبر الأجيال من الذين امتلكوا عقيدة راسخة وإيماناً ثابتاً أما الجبابرة والطغاة فكانت نهايتهم كما كتبها التاريخ الفشل والسقوط.

ويؤكد ابن تيمية في كتابه السياسة الشرعية على ذلك فيقول (فالقيام بالصلاة والزكاة والصبر يصلح حال الراعي والرعية إذا عرف ما يدخل في هذه الأسماء الجامعة، ما يدخل في الصلاة من ذكر الله ودعائه وتلاوة كتابه وإخلاص الدين له والتوكل عليه وبالإحسان إلى الخلق بالمال والنفع من نصر المظلوم وإغاثة الملهوف وقضاء حاجة المحتاج))[٣].

---

(١) مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق حامد أحمد الطاهر – الطبعة الثانية ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، الناشر دار الفجر للتراث- القاهرة، ص١٩١.

(٢) ينظر بين العقيدة والقيادة: محمود شيت خطاب، ص١٤٠.

(٣) السياسة الشرعية: ابن تيمية (ص١١١-١١٣).

وكل قائد برز في تاريخ الإسلام كان لديه العقيدة التي جعلت منه أسطورة زمانه أمثال الخلفاء الأربعة و عمر بن عبد العزيز وصلاح الدين الأيوبي ومحمد الفاتح والقائد قطز ونور الدين زنكي وغيرهم كثير.

فما دام القائد بمعية الله فأن النصر حليفه إلا ما شاء الله. وهذا ما أكده الرسولﷺ لأبي بكر الصديق وهما في طريق الهجرة إلى المدينة وسطره الله في القرآن لتكون حقيقة لكل قائد، قال ﷻ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[١].

هذه سنة إلهية لا تتبدل ولا تتغير فالنصر حليف من كان مع الله جلّ في علاه.

كما يجب على القائد أن يتحلى بصفات أخلاقية عالية كالصبر والحلم والتعاون واحتواء الجنود والجلادة والعدالة والعلم[٢].

كما أن هناك صفات يجب أن تتحقق في الجندي المسلم الحق كالثبات على العقيدة والطاعة والضبط والنظام والإخلاص، فالقائد والجندي عنصران متكاملان فلا نصر بلا قيادة وجنود يتمتعون بعقيدة راسخة[٣].

وعند التمعن في سيرة النبي ﷺ نجد الكثير من المواقف الحكيمة للقيادة النبوية في التعامل مع الوقائع والأحداث وسنتعرض لمجموعة من الحكم النبوية التي يمكن أن يستفيد منها القادة الدعاة في مسيرهم:

١- من حكمة القيادة النبوية اتخاذ مقر للاجتماعات للتداول فيها والتشاور واتخاذ القرارات وإصدار الأوامر القيادية والتوجيهات النبوية ففي بداية البعثة النبوية وهي المرحلة السرية في الدعوة حيث كان المسلمون في ضعف تم اتخاذ دار

(١) سورة التوبة: آية ٤٠.

(٢) ينظر بين العقيدة والقيادة محمود شيت خطاب، ص٥٩وما بعدها.

(٣) المصدر نفسه، ص١١١.

الأرقم بن أبي الأرقم مقراً سرياً للاجتماع والتشاور فيه في بداية الدعوة[١]. وبعد الهجرة حيث تم تأسيس أول دولة إسلامية في المدينة تم اتخاذ المسجد النبوي مقراً لأداء الصلاة والاجتماع والتشاور وإصدار القرارات العسكرية والحربية[٢].

٢- القيادة الحكيمة تتحمل المشاق والصعاب وتتمرس وتتطبع صفة الجلادة والقوة على المتاعب فقد تحمل الرسول(صلى الله عنه وسلم) أصنافاً من الإساءة والإهانة والأذى وكذلك المؤمنون وتحدثت عنها كتب السيرة بالتفصيل[٣].

٣- من حكمة القيادة عدم انغماسها بالترف وتمتعها بالتواضع فالترف يحذف فجوة بين الراعي والرعية فقد حفر النبي ﷺ الخندق مع المسلمين حتى علا جسمه الشريف التراب[٤]. وفي يوم الفتح رأى المسلمون رسول الله ﷺ حين دخل مكة قد احنى رأسه على رحله وبدا عليه التواضع حتى كادت لحيته تمس واسطة رحله خشوعاً[٥] ثم أنظر لعدى بن حاتم وهو يدخل بيت رسول الله ﷺ فيصف معيشته وبيته ويقول عنه: تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقذفها إليّ فقال: أجلس على هذه، وجلس رسول الله ﷺ على الأرض قال: قلت في نفسي والله ما هذا بأمر ملك[٦].

---

(١) ينظر سيرة ابن هشام،ج٢،ص٢٣٠وما بعدها. البداية والنهاية: ابن كثير ج٢،ص٣٧وما بعدها.

(٢) ينظر الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص٧٧-٧٨، البداية والنهاية لابن كثير، ج٢، ص١٩٧-١٩٨. فقه السيرة: محمد سعيد رمضان البوطي – الإعادة السابعة والعشرون ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م – دار الفكر دمشق، ص١٤٢.

(٣) ينظر ابن هشام ج٢،ص٢٣١وما بعدها، البداية والنهاية: ابن كثير ج٢، ص٣٥ومابعدها.

(٤) ينظر السيرة النبوية لابن هشام ج٤، ص٣٦.

(٥) ينظر السيرة النبوية، الصلابي، ص٧٤٥. فقه السيرة: محمد سعيد رمضان البوطي ص٢٧٥.

(٦) ينظر البداية والنهاية: ابن كثير،ج٢، ص١٥٢-١٥٣.

٤- من الحكم القيادية التحقق من الإشاعة ومصدرها فقد أرسل الرسول ﷺ السعدين (سعد بن معاذ وسعد بن عبادة) للتحقيق في إشاعة نقض بني قريظة للعهد مع الرسولﷺ(١).

٥- من الحكم توزيع المهام على الأفراد والجنود وفق التخصص والمواهب والتجربة والدرجة العلمية فقد أرسل مصعب بن عمير ﷺ إلى المدينة لتعليم أهلها القرآن وتعاليم الإسلام لما كان عليه مصعب من دماثة خلق كما كلف زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود فتعلمها خلال خمسة عشر(٢) يوماً وهو احد كتاب الوحي للرسول ﷺ وقريحة علمية بارعة. واختياره للسفراء إلى ملوك الروم وفارس ومصر والحبشة وكان كل واحد يتقن لغة القوم الذين بعثه إليهم(٣) كما أمر أسامة بن زيد وهو أبن ثمانية عشر عاماً على قيادة الجيش الذي أرسله للشام رغم معارضة الكثير من المسلمين لمعرفته بصفاته القيادية وقدرته الحربية(٤) ولما أسلم باذان بن ساسان وكان أميراً على اليمن لم يعزله بل أبقاه أميراً عليها بعد إسلامه حين رأى فيه الإداري الناجح والحاكم المناسب مما يدل على أن الرسول ﷺ يقدر الكفاءات.

٦- القيادة الحكيمة تولي الاهتمام بإعداد القوة المادية قال ﷻ ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾(٥) وقال ﷻ ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ

(١) ينظر سيرة ابن هشام ج٥،ص٨٥٤، البداية والنهاية: ابن كثير ج٢،ص١١٢، السيرة: للصلابي ، ص٥٨٨.

(٢) ينظر صحيح البخاري كتاب الأحكام رقم الحديث ٧١٩٥، ص١٢٣٩. سير أعلام النبلاء شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ) حققه شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ-١٩٨١م،ج٢، ص٤٢٨.

(٣) ينظر السيرة: للصلابي، ص٥٣٧.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) سورة النساء: جزء من الآية /١٠٢

وَعَدُوَّكُمْ ﴾[١]. فقد عمل الرسول ﷺ على تصنيع السلاح محلياً لئلا يتحكم به أحد في الساعة الحرجة، وقد أرسل عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة إلى جرش الأردن ليتعلما صنعة المنجنيقات وهي أضخم الآلات الحربية آنذاك[٢]. وفي غزوة تبوك أمر الناس بالجهاز وحض أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله في تجهيز جيش العسرة وأنفق عثمان بن عفان ألف دينار[٣]. وحصر الإسلام أسباب الإعفاء من الخدمة العسكرية في الضعف ويشمل المرض والعجز والشيخوخة وعدم القدرة على الأنفاق[٤] قال ﷻ: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[٥].

٧- القيادة الحكيمة تأخذ بمبدأ السرية والكتمان حتى عن المقربين فعندما سأل أبو بكر ابنته عائشة (رضي الله عنهما) عن مقصد رسول الله ﷺ كتم الأمر حتى عن زوجته وصديقه الحميم أبي بكر رضي الله عنه[٦]، فكتمان الخطط العسكرية والحربية أمر واجب حتى لا تذاع الأسرار وتؤدي إلى فاجعة تؤدي بالأمة للهلاك.

٨- القيادة يجب أن تكون حازمة تجاه دعاة الفتنة في المجتمع والدولة، فقد تعامل الرسول مع المنافقين بحزم وشدة وكان لهم بالمرصاد وكانت عيون المسلمين يقظة تراقب تحركات المنافقين واجتماعاتهم والاطلاع على مؤامراتهم فنرى أنه لما بلغ الرسول ﷺ أن أناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي

---

(١) سورة الأنفال: جزء من الآية /٦٠.

(٢) قراءة سياسية للسيرة النبوية: محمد رواس قلعه جي الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، ص ٢٠ وما بعدها.

(٣) ينظر البداية والنهاية: أبن كثير ج٣، ص١٤٠.

(٤) ينظر بين العقيدة والقيادة: محمود شيت خطاب، ص١١٩.

(٥) سورة التوبة: جزء من الآية /٩١.

(٦) ينظر السيرة: للصلابي، ص٧٣٥.

يثبطون الناس عن رسول اللهﷺ في غزوة تبوك أرسل إليهم من أحرق عليهم بيت سويلم[١] فعلى الدولة القضاء على مراكز الشائعات التي تعرض أمن الدولة إلى الخطر[٢].

المطلب الثاني

الشورى

الشورى من المبادئ والقيم التي اعتمدتها السيرة النبوية في مسيرتها الدعوية لتقتدي بها الأمة ويسترشد بها الدعاة من بعده.

وتقدم لنا السيرة النبوية معالم أساسية لفقه الشورى باعتباره أمراً ربانياً وسنة نبوية وقيمة أخلاقية وحكمة بالغة في سياسته الأمة وإدارة أمور الدولة. والسيرة أوضحت ضرورة الشورى في مختلف المجالات الحياتية وبجميع أنواعها لما كان هدف الشورى الوصول إلى الرأي الصواب القريب للحق بسبب تنوع الخبرات والآراء وتقليب وتمحيص الأفكار ما بين الصواب والخطأ حتى الوصول إلى الرأي المتفق عليه وذلك لأن الإنسان بطبيعته يفتقد للكمال حيث انه لصيق الجهل والنقص فطرة الله التي فطر عليها الإنسان فيظل بحاجة إلى من يرشده ويوجهه إلى الطريق القويم.

والمشاورة تجري في شؤون الدولة المختلفة وفي الأمور الشرعية الاجتهادية التي لا نص فيها أي أن رئيس الدولة يستشير في أمور الدين والدنيا فقد جاء في تفسير الجصاص (الاستشارة تكون في أمور الدنيا وفي أمور الدين التي لا وحي فيها)[٣].

---

(١) البداية والنهاية الابن كثير، ص١٣٩.

(٢) السيرة للصلابي، ص٧٩٦.

(٣) أحكام القرآن: الأمام أبو بكر احمد بن علي الرازي الجصاص: تحقيق محمد الصادق، ج٢، ص٤٠.

مثل إعلان الحرب وإسناد المناصب وتسيير الجيوش وعقد المعاهدات ولا تكون المشاورة في الأمور الصغيرة التي لا تضر ولا تنفع ولكل هذه الأمور تطبيقات في السيرة النبوية.

إن للشورى أحكاماً مفصلة من الشروط الواجبة لأهل الشورى والمواضيع التي تتم فيها الشورى والموقف الشرعي للإمام الذي لا يأخذ بالشورى وهل يجب عزله[١] من عدمه وسنتعرض لبعض هذه الأحكام أثناء عرض بعض وقائع الشورى في السيرة النبوية.

لقد وضعت السيرة النبوية أسس الشورى ومبادئ نظامها في الحياة لأهميته الدينية والدنيوية سواء للفرد والمجتمع وكثرة تطبيق الشورى في السيرة بدل على أهميته للأمة لتجنب وقوع الإمام في الضلالة والخطأ في القرارات وخصوصاً في القرارات المصيرية التي يتوقف عليها مصير الأمة كقرارات الحروب والخطط الاقتصادية والأمنية وغيرها.

وفي قوله ﷻ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[٢] هذا الأمر لرسول الله ﷺ بمشاورة أصحابه هو أمر لكل من يقوم مقامه من الدعاة والقادة وولاة الأمر فالداعية يحتاج إلى الشورى بل هي واجبة عليه وهذا ما أكدته السيرة استناداً للأمر الإلهي في الآية الكريمة ولا شك أن غياب النهج الشوري من أسباب الأزمات والمصائب التي تعيشها الشعوب الإسلامية وبروز ضغوط على الأفراد وسياسات لا تقبلها بل هي ظالمة ومجحفة بالكثير من الحقوق التي يتمتع بها الغرب، إن إشاعة ثقافة الشورى في المجتمعات دليل على تقدمها وتحضرها ومدى الرقي الذي تتمتع به وتبدأ هذه الثقافة في الأسرة والعائلة مع أفرادها.

وسأذكر أمثلة للشورى السياسية والعسكرية مستعينة ببعض الوقائع النبوية في السيرة.

---

(١) كتاب الشورى في الإسلام، خالد أحمد أبو سمرة، ص٢٨وما بعدها.

(٢) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٥٩.

الشورى يوم بدر:

لما بلغ النبي ﷺ نجاة القافلة التجارية بقيادة أبي سفيان بن حرب وإصرار زعماء مكة على قتال النبي ﷺ استشار النبي ﷺ أصحابه في الأمر(١).

وأبدى بعض الصحابة عدم ارتياحهم لمسألة المواجهة الحربية مع قريش حيث إنهم لم يتوقعوا المواجهة ولم يستعدوا لها، وحاولوا إقناع الرسول ﷺ بوجهة نظرهم وقد صور القرآن الكريم موقفهم فقال: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾(٢).

وقد أجمع قادة المهاجرين على فكرة عدم الملاقاة للعدو، فقام أبو بكر ﷺ فقال وأحسن تم قام عمر بن الخطاب ﷺ فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، إمضِ لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك ففرحّ النبي ﷺ وأشرق وجهه وسره ذلك (٣).

وبعد ذلك عاد رسول الله ﷺ فقال: أشيروا عليّ أيها الناس وكان إنما يقصد الأنصار، أذ لم يكن الأنصار ملزمين بحماية الرسول ﷺ خارج المدينة وذلك حسب بنود بيعة العقبة الثانية أدرك حامل لواء الأنصار سعد بن معاذ ﷺ ما يصبو إليه النبيﷺ: فنهض قائلاً: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال ﷺ أجل، فنهض قائلاً: آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامضِ يا رسول الله لما أردت فنحن معك(٤) وسرَّ

(١) ينظر سيرة ابن هشام ج٢،ص٢٧٢، البخاري كتاب المغازي رقم الحديث ٣٩٥٢، والبداية والنهاية لابن كثير ج٢،ص٢٤٥.

(٢) سورة الأنفال: الآية /٥.

(٣) ينظر البداية والنهاية لابن كثير ج٢،ص.٢٤١موسوعة نضرة النعيم،ص٢٨٨. البداية والنهاية لابن كثير ج٢،ص٢٤١.

(٤) سيرة ابن هشام ج٤، ص٥٨١، البداية والنهاية لابن كثير ج٢، ص٢٤١.

النبيﷺ من مقالة سعد بن معاذ ونشطه ذلك فقالﷺ ((سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الأن أنظر إلى مصارع القوم))[١].

نلاحظ: العملية التربوية التطبيقية لمبدأ الشورى في حياة النبي ﷺ فكل فرد له الحق في إبداء الرأي ما دام ملتزماً بالآداب وضوابط السلوكيات في المشاورة وشعور الفرد المسلم بالكفاءة والعقلانية كما نستشف حرص النبي ﷺ على استشارة أصحابه عند الغزوات.

مشورة الحباب بن المنذر:

بعد أن جمع ﷺ معلومات دقيقة عن قوات قريش سار مسرعاً ومعه أصحابه إلى بدر، ليسبقوا المشركين إلى ماء بدر وليحولوا بينهم وبين الاستيلاء عليه فنزل عند أدنى ماء من مياه بدر وهنا قام الحباب بن المنذر وقال: يارسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال: يارسول الله فإن هذا ليس بمنزل فانهض يارسول الله بالناس حتى تأتي أدنى ماءٍ من القوم أي جيش المشركين فننزله، ونغوّر –نخرب– ما وراءه من الآبار ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فأخذ النبي برأيه، ونهض بالجيش حتى أقرب ماء من العدو، فنزل عليه، ثم وضعوا الحياض وغوّروا ما عداها من الآبار[٢].

وهنا تبرز الشورى النبوية بأبهى صورها فكل فرد يدلي برأيه دون خوف أو وجل من القائد الأعلى حتى وان كان رأيه مخالفاً لرأى القائد[٣] فلا دكتاتورية ولا تسلط من الحاكم فهذه الحرية التي أكدها النبي ﷺ استناداً لتوجيهات القرآن الكريم وأتاحها للجميع يفكر ويدلي برأيه للمصلحة العامة، كما نجد آداب الشورى تظهر

(١) المصدران السابقان.

(٢) سيرة ابن هشام ج٤، ص٥٨٦، البداية والنهاية ج٢، ص٢٤٥.

(٣) بنظر السيرة النبوية للصلابي، ص٣٩٢.

ساطعة في سلوك الحباب بن المنذر مع رسول ﷺ فتقدم الحباب وبأدب بالغ هو مثال لكل الوعاة للتأدب مع أميرهم ومع بعضهم البعض دون تعصب لرأى أو مذهب(١).

مشاورته ﷺ في أسرى بدر:

قال ابن عباس ﷺ: فلما أسروا الأسارى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما)، ما ترون في هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر ﷺ يانبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام، فقال رسول الله ﷺ ما ترى يابن الخطاب؟ قال: لا والله يارسول الله ما أرى الذي يراه أبو بكر، ولكنى أرى أن تمكننا منهم، فنضرب أعناقهم، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، فقال عمر ﷺ ، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يبكيان، قلت: يارسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاءً بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة(٢)، وأنزل عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٣).

نجد في الواقعة أصلاً من أصول المشاورة وهو الأخذ برأي الأغلبية، واللوم الذي وجهه الله ﷻ للصحابة لم يكن بسبب الرأي الذي أشاروا به ولكن بسبب الدافع وراءه وهو الكسب الدنيوي الذاتي (تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا) لا يدخل فيه منهم الا من تحكمت هذه الرغبة في الرأي الذي أشار به.

---

(١) ينظر السيرة النبوية دروس وعبر مصطفى السباعي الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي، ص١١٩.

(٢) ينظر سيرة ابن هشام ج٤،ص٦٤٠-٦٤١، البداية والنهاية ج٢،٢٧٥-٢٧٦. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري الطبعة الاولى -١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.، المطبعة العالمية توزيع مكتبة العلم الحديث والناشر يوسف الحاج.، ص١٩٥.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٦٧.

الشورى في غزوة أحد:

قبل غزوة أحد:

بعد أن جمع النبي ﷺ المعلومات الكاملة عن جيش كفار قريش، جمع أصحابهﷺ وشاورهم في البقاء في المدينة والتحصّن فيها، أو الخروج لملاقاة المشركين وكان رأي النبي ﷺ البقاء في المدينة، وقال ((إنا في جنة حصينة فإن رأيتم ان تقيموا وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن دخلوا علينا، قاتلناهم فيها))[١].

إلا أن رجالاً من المسلمين ممّن فاتتهم بدر قالوا: يارسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا وأبى كثير من الناس إلا الخروج إلى العدو ولم يتناهوا إلى قول رسول الله ﷺ ورأيه وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدراً، قد علموا الذي سبق لأهل بدر من الفضيلة[٢].

ولم يزل الناس برسول الله ﷺ فلبس لأمته فتلاوم القوم فقالوا: عرض نبيُ اللهﷺ بأمر وعرضتم بغيره فاذهب ياحمزة فقل لنبي الله ﷺ أمرنا لأمرك تبع فأتى حمزة، فقال له يانبي الله: ان القوم تلاموا فقالوا: أمرنا لأمرك تبع، فقال رسول الله ﷺ ((انه ليس لنبيّ اذا لبس لأمته يضعها، حتى يقاتل))[٣].

نجد في هذه الرواية عدة أصول يستفيد منها القائد الداعية في مسيرته الدعوية، فليست الكثرة لذاتها دليلاً قاطعاً أو راجحاً على الصواب كما أن القلة ليست دليلاً على الخطأ إذ يمكن أن يكون الخطأ مع الكثرة، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة قال ﷻ ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[٤]، وقال ﷻ ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾[٥].

---

(١) سيرة ابن هشام ج٥،ص٧٢٩، البداية والنهاية ج٢، ص٦٠.

(٢) سيرة ابن هشام ج٥،ص٧٢٩، البداية والنهاية ج٢، ص٦٠.

(٣) أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان، ص٢٢٢.

(٤) سورة الأنعام: جزء من الآية /١١٦.

(٥) سورة المائدة: جزء من الآية /١٠٠.

والخلاصة فيما يأتي:

١. أن صواب الرأي أو خطأه يستمدان من ذات الرأي وطبيعته لا من كثرة أو قلة القائلين(١).

٢. في حالة الحروب وهي أخطر ما تمر به الأمة يفوض الأمر إلى قائد الجيش لينفذ ما يراه من خطط الهجوم والدفاع بعد أن يستشير مساعديه وهو وإن كان ملزماً باستشارتهم لكنه لا يلتزم برأيهم مطلقاً(٢).

٣. أن النبي ﷺ اخذ برأي الأكثرية في مسألة عدم الخروج، إنما أخذ برأيهم لأنه رأى ذلك لا لأن الأخذ برأي الأكثرية ملزم(٣). وقد أختلف الفقهاء في كون الشورى ملزمة أو غير ملزمة للإمام من عدمه كل حسب أدلته الشرعية ولا مجال لعرضها في هذا البحث.

٤. الرسول ﷺ أخذ بالمشاورة لأن الله ﷻ امر بالمشاورة.

الشورى في محاولة الصلح مع غطفان:

في محاولة للتخفيف من حصار الأحزاب للمدينة كان الرسول ﷺ يعلم أن غطفان كان هدفها من وراء الاشتراك في هذا الغزو هو المال وطمعاً في خيرات المدينة وكان الصلح ان يدفع المسلمون لغطفان ثلث ثمار المدينة كلها من مختلف الأنواع وقد شاور الرسول ﷺ الصحابة في هذا الأمر، فكان رأيهم عدم إعطاء غطفان شيئاً من ثمار المدينة وقال السعدان: سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة يارسول الله، أهذا أمر تحبه فتصنعه أم شيء أمرك الله به لابد لنا من العمل به أم شيء تصنعه لنا؟ فقال: بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم فاردت أن أكسر عنكم شوكتهم. فقال سعد بن معاذ ﷺ: كنا على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قرى أو بيع.

---

(١) أصول الدعوة، ص٢٢٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الشورى في الإسلام: خالد أحمد أبو سمرة ص٨٨-٨٩.

أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له، وأعزنا بك نعطيهم أموالنا ؟ مالنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

فقال النبي ﷺ أنت وذاك فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال: ليجهدوا علينا(١).

نجد في هذه الواقعة فتح مجال الشورى للجماعة ما دام الأمر في دائرة الاجتهاد لا في مورد النص فقبل مصالحة النبي ﷺ مع غطفان وتوقيع الصلح عرضه على الجماعة فهذا مبدأ عظيم في القيادة وقد أدت الشورى إلى الأخذ برأي الصحابة وهذه صفات القيادة: التعاون والثقة وتقديم مصلحة الأمة على الذات(٢).

الشورى في صلح الحديبية:

استشار النبي ﷺ أصحابه في الخروج وإذا حاولت قريش منعهم من الدخول إلى مكة إلى البيت الحرام معتمرين، فإن حاربتهم قريش قاتلوهم فأشاروا بالخروج و جرت مفاوضات مع قريش انتهت بصلح الحديبية، ولكن الصحابة تأثروا بتوقيع هذا الصلح وأصابهم الغم والحزن ولما فرغ الرسول ﷺ من كتابة الصلح قال لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا حتى قال ذلك ثلاثاً فلم يقم منهم أحد، فدخل الرسول ﷺ على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة: أخرج ولا تكلم أحدا منهم حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى قام بما أشارت عليه أم سلمة، فتبعه المسلمون يحلقون حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً، فمع إصرار المسلمين على القيام بالعمرة إلا أن الرسول ﷺ عقد صلح الحديبية ولم يستشر أحداً من المسلمين لأن الصلح كان أمراً ربانياً قد أوحى الله به وبكل تفاصيله(٣).

وقد ذكر القرطبي في تفسيره (صفة المستشار إن كان في الأحكام أن يكون عالماً دينا وصفة المستشار إن كان في أمور الدنيا أن يكون عاقلاً مجرباً)(٤).

الشورى في غزوة تبوك:

---

(١) ينظر: سيرة ابن هشام ج٥، ص٨٥٧، البداية والنهاية ج٢، ص١٦٣.

(٢) ينظر: أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان، ص٢٢٠.، السيرة النبوية للصلابي، ص٢٧١.

(٣) ينظر الشورى في الإسلام، خالد أبو سمرة – دار ابن حزم للنشر، ص٦٦..

(٤) تفسير القرطبي،ج٢، ص٢٤٩.

١. قبل النبي ﷺ مشورة عمر بن الخطاب ﷺ في ترك نحر الابل عندما أصابت جيش العسرة مجاعة في أثناء سيرهم إلى تبوك فاستأذنوا النبي ﷺ في نحر إبلهم حتى يسدوا جوْعتهم، فلما أذن لهم الرسول ﷺ أبدى مشورته وذكر أن الجند إن فعلوا ذلك نفِذت رواحلهم، ولما وجد النبي ﷺ سداد هذا الرأي أخذ به ثم جمع أزواد القوم ودعا لهم بالبركة واكلوا حتى شبعوا(١).

٢. وقبل ﷺ مشورة أبى بكر الصديق ﷺ في الدعاء عندما أصابهم العطش في وقت القيظ الشديد في أثناء خروجهم إلى تبوك فقال أبو بكر الصديق: يارسول الله إن الله عودك في الدعاء خيراً فادع الله قال (أتحب ذلك) قال نعم، فرفع يديه فلم يردّهما حتى حالت السماء فأظلت ثم سكبت فملأوا ما معهم وقالوا ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر(٢).

إن الشدائد تثير الهمم والقوة لحل المصاعب التي تواجه المسلم وتعلمه عدم الخنوع والخضوع لها والمصاعب التي واجهت جيش العسرة أفرزت آراء حازمة حول الموضوع لتعلقها بمصير الجيش فكان لابد أن يدلي الفرد برأيه ويقدم المشورة العقلانية التي تناسب الموقف فالمشورة التي قدمها أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) جاءت في وقتها المناسب وهذا ما يحدث عندما توجد الحرية لإبداء الراي لكي تتخلص الأمة من مصاعبها ومشاكلها فالحرية الفكرية والتعبيرية أساس المجتمع السليم.

وعلى الدعاة أن يستفيدوا من نظام الشورى في حياتهم العملية وذلك من خلال السبل الآتية:

١. تكوين مجلس الشورى الذي ينظر في المجالات كافة للاستفادة من خبرات أفراده وقدراتهم.
٢. فتح المجال أمام الدعاة لأبداء آرائهم في المواقف الخطيرة والحاسمة.
٣. توفير جهد لغوي خاص للترجمة لمختلف اللغات للاستفادة من الكتب والبرامج عند الأمم المتقدمة، وتهيئة أفراد ذوي تخصص تكنولوجي وإن كانوا من الأجانب للإفادة منهم في المشاريع الاقتصادية وتصريف الأموال، والإعلام.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ج٣،ص١٤٤.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ج٣، ص١٤٥.

٤. تمتع الداعية بصفات الصبر والاحترام والتواضع وسعة الصدر والاستماع للطرف الآخر وإن كان يخالف رأيه متمثلاً بأخلاقيات الرسول ﷺ.

المطلب الثالث

التخطيط النبوي

لاشك أن علم التخطيط علم قائم بذاته وبات موضع اهتمام الدول المتقدمة لما له من آثار في إنجاح العمليات والمشاريع والمهمات فالأعمال العشوائية العفوية لا تأتي بطائل.

والتخطيط مسلك تنظيمي يعتمد على ترتيب المعلومات والأولويات ومن ثم تطويعها لرسم الخطط المناسبة للمهام وعلى جميع الأصعدة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها وأصبحت الدول تتخذ له وزارات خاصة لتنظيم إداراتها ومهامها تسمى وزارات التخطيط، تنتظم تحتها مديريات عامة للتخطيط العمراني والاقتصادي والسكاني وغيرها.

اهتمت السيرة النبوية بالتخطيط فنجد له مساحات واسعة في السيرة النبوية فما من أمر أو مهمة إلا والتخطيط النبوي يحيط به، ونكاد نجزم أن علم التخطيط الذي يتشدق به العالم الحديث المعاصر ترسم أصوله ومبادئه السيرة النبوية.

وعند استعراض السيرة النبوية ووقائعها نجد الخطط المرنة والكتمان واستباق المعلومات قبل التخطيط والتأكد من صحتها ومن ثم المشورة حول فعاليتها في التطبيق، كما أن المخططات في السيرة اعتمد رسمها على معرفة مخططات العدو، لمعرفة نقاط الضعف المضادة لها وسنشير إلى بعض أنواع الخطط في السيرة النبوية منها الخطط العسكرية الحربية والخطط العامة التي يمكن الإفادة منها في الدعوة.

أطلق كتاب السيرة على السنوات الثلاث الأولى من فجر الدعوة الإسلامية اسم الدعوة السرية ولعل هذا يخولنا ان نطلق على العهد المكي كله دور التخطيط السري أو العمل السري لقيام الدعوة الإسلامية(١).

مضت الدعوة سرية وفردية على الاصطفاء والاختيار للعناصر التي تصلح ان تكون منها الجماعة المؤمنة، التي ستسعى لإقامة دولة الإسلام(٢).

وكان التخطيط النبوي في هذه المرحلة يعتمد على السرية والكتمان(٣).

وكان الصحابة في هذه المرحلة يجمعون المعلومات عمن يريدون دعوته للإسلام وكانت الأوامر النبوية على وجوب المحافظة على السرية واضحة وصارمة وكان النبي القائد ﷺ يشرف على ذلك وقام بترتيب جماعة أمنية لربط الاتصال بين القيادة والجنود لتحقيق أقصى سرية(٤).

كانت الضرورة تقتضي لقاء الجماعة المؤمنة مع رسولها لتتلقى منه الأوامر الدينية الإيمانية والتوجيهات النبوية فكان لابد من مقر ودار أمن للاجتماعات المتكررة وهنا يظهر التخطيط النبوي الدقيق المنظم في اختيار دار الأرقم بن أبي الأرقم الذي كان يتمتع بمزايا و صفات نجليها على النحو الآتي:

١. أن الأرقم لم يكن معروفاً بإسلامه.
٢. كان الأرقم بن أبى الأرقم من بني مخزوم. وقبيلته بنى مخزوم تحمل لواء التنافس والحرب ضد بني هاشم فلا يمكن تصور أن يكون الاجتماع في دار العدو.
٣. الأرقم بن أبى الأرقم كان فتى عند إسلامه حيث كان في حدود السادسة عشرة من عمره ولا يمكن تصور أن قريشاً تبحث في دور الفتيان الصغار.

---

(١) ينظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية: محمد رواس قلعه حبى، دار النفائس للطباعة والنشر- بيروت- الطبعة الثانية-١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٢) ينظر السيرة النبوية: للصلابي، ص٩٢.

(٣) الرحيق المختوم، ص٧٨.

(٤) ينظر السيرة للصلابي، ص٩٢.

٤. اختيار هذا البيت في غاية الحكمة من الناحية الأمنية[١].

كانت دار الأرقم مدرسة من اعظم المدارس في التخطيط النبوي حيث التقى فيها الرسول ﷺ بالصفوة المختارة من الرعيل الأول ووضع أسس التخطيط الأولية بوجوب وجود عريش أو مقر للقيادة لإصدار التوجيهات والأوامر النبوية التي تناسب تلك المرحلة، وتم تدريب الجنود نظرياً وعملياً للاستعداد للمهمة الكبرى في نشر الإسلام.

وللتأكيد على أن من أسس التخطيط النبوي وجود مقر للقيادة لإدارة العمليات نجد أن المقر الثاني[٢]. عند انتقال النبي للمدينة المنورة هو بناء المسجد النبوي الذي عمل في بنائه بيده الشريفة ليرُغب المسلمين في العمل فيه وجعل ينقل الحجارة بنفسه.

وتظهر ضرورة التخطيط وأهميته في السنة النبوية في حادثة الهجرة مما يفند قول الذين ينادون بالعفوية ويدعون أن التخطيط والتدبير المسبق للأمور ليس من السنة النبوية[٣].

عند استذكار مراحل الهجرة نجد أنها مدروسة دراسة وافية ضمن تخطيط ممنهج في سير تفاصيلها الأتية:

١. جاء النبي ﷺ إلى بيت أبى بكر ﷺ في وقت شديد الحر لا يخرج فيه أحد.
٢. إخفاء شخصيته فقد جاء متلثماً.
٣. أمر أبا بكر ﷺ أن يكون الخروج من بيته ولما تكلم لم يبين إلا الأمر بالهجرة دون تحديد الاتجاه.
٤. الخروج ليلاً ومن باب خلفي في بيت أبي بكر.
٥. اتخاذ طرق غير مسلوكة ولا مألوفة مع الاستعانة بخبير يعرف مسالكها.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ينظر سيرة أبن هشام،ج٢،ص١١٤. بين العقيدة والقيادة: محمود شيت خطاب، ص١٥٥.

(٣) السيرة النبوية للصلابي، ص٢٧٥.

إن حادثة الهجرة وما جرى فيها من وقائع في بداياتها وما لحق بذلك من خطوات جرت بعدها تحمل دروساً عميقة للدعاة والمسلمين كافة تكشف مدى أهمية التخطيط وهو جزء من التكليف الإلهي في حياة المسلم و فيه دلالة واضحة على أن الإسلام قائم على التنظيم والترتيب فالعشوائية وترك الأمور تجرى بلا مبالاة لا يقره الإسلام ولا يصدح به.

وعند استعراض حوادث السيرة نجد نوعاً مهماً من أنواع التخطيط البشري هو التخطيط العسكري الحربي.

فالبراعة العسكرية التي كانت تتصف قيادته ﷺ بها في الحروب حيث كان في مقدمة المخططين لفنون القتال وطرائقه، هذه العبقرية تأتي من وراء نبوته ورسالته السماوية(١).

كان من هدي النبي ﷺ حرصه على معرفة جيش العدو والوقوف على أهدافه ومقاصده لأن ذلك يعينه على رسم الخطط الحربية المناسبة لمجابهة العدو وصد عدوانه مع الاستفادة من خبرات أصحابه وعدم الاقتصار على ما أداه إليه اجتهاده في مثل هذه الأمور وهذا ما نستخلصه من مخططات الرسول ﷺ قبل غزوة بدر فبعد أن جمع المعلومات أسرع مع أصحابه إلى بدر ليسبقوا المشركين إلى ماء بدر فنزل أدنى ماء من مياه بدر وهنا قام الحباب بن المنذر ليعرض خطته حيث قال: هذا ليس بمنزل فانهض يارسول الله بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم إلى المشركين فننزله ونغور –نخرب– ما وراءه من الآبار ويظهر هنا مبدأ المرونة في الخطط واتخاذ الخطة الجديدة بدل القديمة(٢) فقد يكون عند الجندي الممارس لفنون القتال ما يحقق الهدف فنرى عظمة قيادة النبيﷺ في التخطيط حينما وجد صواب الخطة الجديدة.

(١) فقه السيرة: محمد سعيد رمضان البوطي، ص١٧٩.

(٢) السيرة النبوية للصلابي، ص٣٩٢.

وفي أثناء المعركة ابتكر الرسول ﷺ في قتال المشركين خطة عسكرية مبدعة لا خبرة للمشركين بها وهي نظام الصفوف قال ﷻ (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ)(١).

ومن ضمن الخطط النبوية استغلال الظروف الطبيعية وأن تكون الخطط شاملة تلم كل الجوانب بمختلف مجالاتها فقبل بدء القتال يوم بدر جعل الشمس خلفه وإنما فعل ذلك لأن الشمس أذا كانت بوجه المقاتل تقل مقاومته ومجابهته لعدوه(٢).

واعتمد الرسول ﷺ في الكثير من غزواته على تتبع حركة العدو واستعداده العسكري ثم التخطيط على أساسه فقد أرسل العباس بن عبد المطلب إلى الرسول ﷺ بتحركات قريش واستعداداتها العسكرية، ومن ضمنها جميع تفاصيل الجيش وأسرع رسول العباس بإبلاغ الرسالة وجدَّ في السير حتى إنه قطع المسافة بين مكة والمدينة التي تبلغ (٥٠٠) كم في ثلاثة أيام وسلم الرسالة إلى النبي ﷺ وهو في مسجد قباء(٣).

وعلى أساس المعلومات والمشاورة مع الصحابة فقد تم التخطيط الوقتي والمكاني لغزوة أحد، فالوقت يكون التحرك بعد الليل حين يكون جيش العدو قد أضناه تعب الطريق ومشقة السفر فلابد أن يكون في نوم عميق(٤).

ثم اتخاذ طريق لا يرى الأعداء فيها عيون جيش المسلمين فقال لأصحابه (من رجل يخرج بنا على القوم من طريق لا يمر بنا عليهم؟) فأبدى أبو خيثمة استعداده قائلاً: أنا يارسول الله فكان مروره بين الأشجار والبساتين دون الطرق المكشوفة التي يمكن أن يستغلها العدو(٥).

---

(١) الصف: الآية ٤.

(٢) السيرة النبوية: الصلابي، ص٣٩٨-٤٠٠.

(٣) الرحيق المختوم: صفي الرحمن المبار كفوري - المطبعة العالمية الطبعة الاولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م توزيع مكتبة العلم الحديث- ص٢٥٠.

(٤) السيرة النبوية للصلابي، ص٤٦٩.

(٥) سيرة ابن هشام،ج٥، ص٧٢٩.

ولا شك أن التخطيط البشري مطلوب ومهم للوصول للهدف ولتحقيق النجاح في أغلب المهام ولكنه سيبقى مقتصراً على المدى القريب وعاجزاً عن رؤية المستقبل ونتائجه.

ومن التخطيط الإلهي الذي يظهر معه عجز البشر ورؤياهم المحدودة صلح الحديبية هذا الصلح الذي اعترض عليه اغلب الصحابة الذين رأوا فيه ظلماً وحيفاً للمسلمين حيث كان الرسول ﷺ يعطي للمشركين ما سألوه من الشروط وخاصة البند الذي ينص فيه على إرجاع من جاء من المسلمين لاجئاً إلى النبي ﷺ ولا تلتزم قريش برد من جاءها من المسلمين مرتداً ولكن الرسول الكريم ﷺ أكد حقيقة أن هذا الأمر من الله ﷻ فقال ((أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني)). وقال ﷺ لعمر بن الخطاب ﷺ ((فإنك آتيه ومطوف به))[١].

وقد حقق الله وعده ولمس المسلمون مع الأيام نتائج صلح الحديبية ومنها انتشار الإسلام ودخول القبائل فيه أفواجا وازدادت هيبة المسلمين في الجزيرة ومن ثم الفتح الأعظم فتح مكة وهذه سنة الله في الأمور العظام التي يريد تحقيقها قدراً وغيباً، أن يوطئ لها بين يديها بمقدمات تؤذن لها وتدل عليها[٢].

وقد بينت السيرة أهمية معرفة لغة العدو لجمع المعلومات لتطويعها إلى مرتكزات في التخطيط ففي سرية عبد الله بن عتيك لقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق من يهود بني النضير استطاع عبد لله بن عتيك أن يصعد إلى حصن أبي رافع وأن يخاطب امرأته، وأن يدخل بيته مطمئناً لأنه خاطبه بلغته، لغة اليهود في ذلك الوقت، وهذا يبين ضرورة اختيار الجنود للمهمات الاستطلاعية من ذوي الموهبة اللغوية والملكة في الترجمة، لتحقق هدفها بتزويد القيادة بالمعلومات التي تساعدها في رسم الخطط المحكمة.

(١) البداية والنهاية: لابن كثير، ج٢، ص٢٣٠. الرحيق المختوم: المباركفوري، ص٢٩٦.
(٢) الرحيق المختوم، ص٢٩٦.

وهناك بعض المهام العسكرية التي يترك القائد تخطيطها لمن هو أقل منه رتبة لمعرفته حنكة الجندي صاحب المهمة فإذا وجدت خطته بالدقة والواقعية المطلوبة صادقت عليها وأشرفت على إنجازها.

وقد أوكل النبي ﷺ مهمة القضاء على كعب بن الأشرف اليهودي الذي كان يؤذي الرسول والمسلمين بهجائه وتأليب مشركي قريش ضده إلى محمد بن مسلمة[١] ووضعت الخطة تحت إشراف الرسول ﷺ واتصفت الخطة بالسرية والأخذ بالأسباب:

١. كان أبو نائلة قد رافق محمد بن مسلمة وكان أخاً لكعب من الرضاعة وهذا دافع لاطمئنان كعب بن الأشرف.
٢. إعتمدت الجماعة التمويه والخدعة اعتماداً على ان الحرب خدعة فأظهروا التبرم والسخط من الرسول ﷺ مما ساعد على إدخال الثقة في قلب كعب بن الأشرف[٢].
٣. الموعد الذي اتفقوا عليه مع كعب بن الأشرف كان قد زاد الخطة دقة فمجيئهم في أي وقت من الليل وطرقهم الباب لا يثير أية شبهة أوربية في النفس.
٤. استدراج أبى نائلة لابن الأشرف إلى مكان يخلو من الناس ومن ثم التظاهر بشم طيب رأسه وبالتالي قتله كان في غاية التوفيق[٣].

وكما نرى أن هناك الكثير من الوقائع في السيرة النبوية انتهجت التخطيط أساساً لنجاحها ليقتدي الدعاة باعتماد الدقة والتخطيط في مشاريعهم الدعوية وبجميع مجالاتها.

إن الدعاة الذين ينتهجون نظام العشوائية في أعمالهم دون سابق تخطيط وتدقيق متذرعين بالتوكل على الله لن تكون ثمرة أعمالهم وفق الطموح الذي يريدونه فلا بد من تأسيس مجموعات خاصة للتخطيط درست علم التخطيط في الكليات والجامعات

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ينظر سيرة ابن هشام،ج٢، ص٧١٦. البداية والنهاية: ابن كثير ج٢، ص٥٦.

(٣) ينظر المصدران السابقان .

المتخصصة في هذا العلم وان تناط بهم مهمة رسم الخطط بمختلف مجالاتها فلابد لنا ان نذكر في هذا المجال أساليب المبشرين لبلوغ غاياتهم فكانت لديهم الخطط الخبيثة المدروسة، وأبرز مثال على ذلك مؤتمر كولورادو لتنصير المسلمين الذي عقد في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٨ الذي أستغرق إعداده مدة طويلة وانتهى المؤتمر بوضع استراتيجية شاملة ذات أهداف معينة يتم تنفيذها في أوقات محددة وعلى المدى البعيد(١).

ونلاحظ اليوم كيف أثمر هذا المؤتمر لأبعاد المسلمين عن دينهم وعلى المسلمين اليوم ان ينتهجوا اليوم الآتي:

١. عقد المؤتمرات الدولية والسنوية للتباحث في وضع مشروعات الخطط ودراسة نتائجها فمشروعات مساعدة فقراء المسلمين في أفريقيا ما زالت دون المستوى المطلوب مقابل المساعدات التبشيرية الهائلة المستغلة لظروفهم البائسة.
٢. الاستعانة بالأجهزة التكنولوجية المتطورة في الإفادة من أنظمتها في ترتيب المعلومات للحصول على نتائج مثمرة في مشاريع الأموال وتوزيعها على المؤسسات الدعوية وحسب الأولوية والحاجة.
٣. جعل مادة السيرة من المواد الأساسية للدراسة في الكليات الدعوية مع تدريس الطلبة فقه السيرة ليستفيد منها الطلبة الدعاة باستخلاص المبادئ في الخطط وغيرها.
٤. جمع المعلومات وترتيبها من قبل جماعة متخصصة قبل وضع الخطط.

(١) حروب الغرب المقدسة على الإسلام الحسين الحسيني المعدي، ص١٢٢.

المطلب الرابع

مواجهة الخصوم بين الماضي والحاضر

تركت لنا السيرة النبوية تراثاً زاخراً بفقه التعامل مع الخصوم فقد رسمت ووضعت أسس التعامل معهم وقواعد تطبق في كل عصر وزمان لمواجهتهم، ومما لاشك فيه أن أعداء الماضي الذين تعرضت لهم الأمة الإسلامية هم أنفسهم أعداء الحاضر والمستقبل وإن تغيرت أشكالهم وأساليبهم وفق كل زمان ومكان.

وهذا من عظمة السيرة النبوية في تبيان الخصوم وطرق التعامل معهم.

ويتشكل خصوم الإسلام في نسيج واحد من المشركين واليهود والنصارى والمنافقين وربما برزت السيرة في بعض الوقائع اجتماع قوى الأعداء في جبهة واحدة كما في غزوة الخندق فقد تظافرت قوى المشركين واليهود والمنافقين وهذا دلالة أن ملة الكفر واحدة.

إن أول من ناصب الإسلام العداء هم الكفار في الجزيرة العربية لما وجدوا الإسلام يهدد وضعهم الاقتصادي ويسفه أصنامهم ويرجح العقلانية والفطرة السليمة ويوجه العباد ليعبدوا الله الواحد فاستخدموا مختلف الوسائل والأساليب لصد انتشار الإسلام فالتعذيب والإذلال والحصار الاقتصادي ومصادرة الأموال من أساليبهم في محاولة التضييق على المؤمنين ولكن دون جدوى.

إن العداوة للإسلام أخرجتهم من الفطرة البشرية إلى البهيمية الحيوانية للخلاص من المؤمنين قبل إعمال عقولهم في تفحص هذا الدين الجديد بل إن بعضهم قد عرف الحق وتمردت عليه نفسه فأبى إلا الكفر والمماطلة على نور الحق. وما حدث في الماضي استدار ليظهر في الحاضر ولكن بأساليب أبشع وأعتى فالمذابح التي حدثت في فلسطين و بورما والشيشان وسريلانكا أعظم شاهد على ما نقول.

والهند التي اشتهرت بهدم المساجد وحرقها فقد هدمت المسجد البابري من ثم حرقه من قبل جماعة الهندوس ومذابح البوسنة والهرسك في يوغسلافيا(١).

مواجهة الخصوم:

كانت المواجهة في بداية الدعوة مع المشركين بالصبر والثبات على العقيدة والتضحية بالنفس والمال إلا أن المرحلة الثانية من الدعوة التي نزل فيها الأمر بالقتال واجه الإسلام فيها أهل الكفر بكل حزم وشدة وأمام قوى الطغيان لتخليص العباد من طغيانهم وجبروتهم.

قال ﷻ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾(٢).

وقال ﷻ ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(٣).

فلما صبر المسلمون في المرحلة الأولى واستقام عودهم ظفروا بالنصر بالمرحلة الثانية وهكذا توالت غزوات الرسول ﷺ بعد هذا الإذن للدفاع عن الإسلام والمسلمين ونصر دين الحق.

وتركت السيرة للأمة مفاتيح النصر والظفر لكن المسلمين أداروا ظهورهم اليوم وهم كغثاء السيل أصبحوا عاجزين عن نصرة مسلم مظلوم في أي بلد من بلاد الكفر فالهوان والضعف الذي نهش عظم الأمة بسبب المعاصي والذنوب جعلها فريسة سهلة لقوى الكفر فاستهانوا بالمسلمين فعملوا الذبح والإذلال وهتك الأعراض وفعلوا الأفاعيل التي يندى لها جبين العالم والتاريخ بكل مسلم ومسلمة فأنظر كيف واجهتهم الأمة في الماضي وانظر المواجهة في الحاضر شتان بين العزة والذلة.

---

(١) مأساتنا والحل: الدكتور مهدي بن على قاضي، الطبعة الأولى – دار المحمدي للنشر، ١٤٢٢هـ، ص٢-٧.

(٢) سورة الحج: الآية /٢٩.

(٣) سورة التوبة: الآية /٣٦.

ولعل مما يساعد على توضيح الصورة استعراض بعض المواقف في تأريخنا الإسلامي لنستفيد منها في الواقع المعاصر فقد ترك لنا سجل التاريخ سقوط الأندلس بأيدي الصليبيين فقد كانت غرناطة هي بقية ملك المسلمين والعرب في الأندلس بعد أن تمزقت دولتهم ووقع أكثر المدن في أيدي الصليبيين (بلنسيا وقرطبة ومرسية واشبيلية) فأصبح حكم المسلمين محصوراً في غرناطة،

وكان من الأمور التي ساعدت على بقاء غرناطة صامدة طوال هذه المدة هي حمية المسلمين الذين أفاقوا متأخرين وكذلك ساعدهم سلاطين المغرب من المسلمين مع وجود حكام أقوياء في غرناطة ثم دارت الأيام وذهب الأقوياء وجاء الضعفاء طلاب الدنيا والشهوات والهوى واللعب وتمزقت الوحدة مع سلاطين المغرب وبدأ الصليبيون في توحيد صفوفهم للقضاء على آخر معاقل الإسلام وساعدهم أبو عبد الله الذي تمرد على والده سلطان غرناطة ووضع هذا الأخير يده بأيدي الصليبين مما سهل على الصليبين فتح الجانب الغربي من غرناطة ومن عجب أن يرسل أبو عبد الله رسالة يهنئ فيها الصليبيين على الفتح،

ولكن ما لبث أن عاد ملوك الصليب وأعلنوا الحرب على أبي عبد الله فحاربهم ولكن دون جدوى فقاموا بحرق الزروع وحرث الحقول وضربوا حصاراً شديداً على أهل المدينة حتى استبد بهم الجوع مما اضطر أبا عبد الله إلى عقد الصلح معهم ويتكون من سبعة وستين شرطاً.

وبعد سقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ بدأت محاكم التفتيش لتطهر إسبانيا من أثار الإسلام والمسلمين ومارست أبشع الوسائل للقضاء على كل ما له صلة بالإسلام ومن هذه الوسائل:

١.منعت التخاطب باللغة العربية.

٢.منعت الملابس الإسلامية.

٣.منعت المراسيم الإسلامية كالختان والاتجاه نحو القبلة والاستحمام والاغتسال.

٤.الحرق الجماعي ووسائل التعذيب في احتفال يشهده الملك والأحبار[١]

(١) ينظر كتاب حروب الغرب المقدسة، الحسيني الحسيني ص٩٠.

هذا الذل الذي تعرض له المسلمون في الأندلس كان سببه الفرقة والتنازع في صف المسلمين وكراهية الموت وحب الدنيا والشهوات التي غرق فيها أهل الأندلس قبل السقوط.

وسأعرض فيما يأتي بعض أساليب المواجهة:

أولاً: مواجهة اليهود

كان اليهود قبل الهجرة إلى يثرب يهددون الأوس والخزرج بظهور نبي من العرب وكانوا يزعمون أنهم سيقاتلون معه وينصرونه فلما ظهر أمره واضطهده قومه وأذن الله له بالهجرة إلى المدينة اجمعوا على محاربته والكيد له مبتدئين بإنكار نبوته وساعين إلى قتله والتآمر عليه والنيل من وحدة المسلمين.

وقد سجل الله ﷻ هذه العداوة بقوله الكريم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾[١].

عامل الرسول ﷺ اليهود على أنهم أهل كتاب وضمن حقوقهم في وثيقة المدينة وحدد حقوقهم وواجباتهم في أول دستور أصدره لتنظيم الشؤون الداخلية والخارجية لدولة المدينة [٢] ولكن غلبت عليهم شقوتهم وحقدهم الأسود وكبرياؤهم المزيف فتنوعت أساليبهم ووسائلهم في محاربة الإسلام والمسلمين فتارة حرب جدلية لتشكيك المسلمين في كل ما ينزل عليهم من القرآن وإشعالهم نار الفتنة بين الأوس والخزرج من قبل شاس بن قيس الشيخ اليهودي وذلك بتذكيرهم بحروب الجاهلية[٣] وأخذ شاعر اليهود كعب بن الأشرف يرثي قتلى بدر ويحرض على حرب محمد ﷺ[٤].

كما قاموا بسلسلة اعتداءات صارخة ضد المسلمين ومنها ما حدث في سوق بني قينقاع إذ اعتدى الصائغ اليهودي على امرأة مسلمة فعمد إلى عقد طرف ثوبها

---

(١) سورة المائدة: الآية /٨٢.

(٢) ينظر سيرة ابن هشام ج٣،ص٤٥٦، البداية والنهاية ج٢، ص٢٠٦-٢٠٧.

(٣) سيرة ابن هشام ج٣، ص٥١١.

(٤) ينظر البداية والنهاية ج٢، ص٥٤.

إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها فصاحت، فوثب أحد المسلمين على الصائغ فقتله[١].

وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، وكان بنو قينقاع أول يهود نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ فحاصرهم حتى نزلوا على حكمه، فأجلاهم إلى اذرعات الشام جزاء خيانتهم.

أما بنو النضير فقد تآمروا على قتل رسول الله ﷺ حينما كان واقفاً بجنب جدار في ديارهم، فأرادوا أن يلقوا صخرة كبيرة عليه، فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم، فحاصرهم ونزلوا على حكمه فخرج بعضهم إلى خيبر معقل اليهود وآخرون خرجوا إلى ديار الشام[٢].

أما بنو قريظة فقد خرج عشرون رجلاً من زعمائهم وساداتهم لتأليب غطفان وقريش على حرب المسلمين فلما زحفت قريش وحلفاؤها على المسلمين في معركة الخندق[٣]. ضرب اليهود عهودهم مع الرسول ﷺ في دفاعهم عن المدينة عرض الحائط ولم يكتفوا بهذا الغدر، بل زادوا على خيانتهم الأولى أخرى كبيرة، حيث اتفقوا سراً مع زعماء قريش على فتح أبواب حصون المدينة من جهتهم ليباغتوا المسلمين فيها، ويعملوا السيف في رقابهم ولكن التدبير الإلهي أرسل نعيم بن مسعود الذي لم يكن قد أعلن إسلامه، ليفرق جمعهم ويشكك بعضهم في بعض ثم نزل الوحي الإلهي بعقاب الخونة ناقضي العهود فحاصرهم النبي ﷺ وطلب منهم اختيار الحكم الذي يريدونه فاختاروا حليفهم في الجاهلية سعد بن معاذ فأتوا به على حمار[٤]، لأنه كان جريحاً فقال سعد: لقد آن لسعد الا يخاف في الله لومة لائم فقال: اني أحكم فيهم أن تقتل رجالهم وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء[٥].

---

(١) البداية والنهاية ابن كثير،ج٣،ص٥١.

(٢) ينظر سيرة ابن هشام، ج٥، ص٨٢٨. البداية والنهاية، ج٢، ص١٨٦.

(٣) سيرة ابن هشام، ج٥، ص٨٤٨.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير: ج٢، ص١٨٦.

(٥) صحيح البخاري: كتاب المغازي، رقم الحديث ٤١٢٢،ص٦٩٨.

وفي خيبر تجمعت حشود اليهود، واتخذوها وكراً لتخطيط مؤامراتهم، فبدأوا يتصلون بقريش يدفعونهم لتجميع أمرهم لحرب المسلمين، فباغتهم الرسول ﷺ ودعاهم إلى الإسلام فرفضوا ففتح حصونهم حصناً حصناً ثم صالحهم وأعطى خيبر لأهلها على ان لهم الشطر من كل زرع ومن كل تمر، ولكن اليهود جبلوا على الخبث والحقد فدفعوا إلى زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم، شاة مصلية أكثرت السم في ذراعها ثم سمت الشاة كلها، ثم جاءت بها ووضعتها بين يدي رسول الله ﷺ وعندما تناول الذراع لاك منها مضغة فلفظها ثم قال: إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم، ثم دعا باليهودية فاعترفت فقال: ما حملك على ذلك؟، قالت: قلت: ان كان ملكاً استرحنا منه وان كان نبيا سيخبر، فعفا عنها ولكن بشر بن البراء بن معرور اكل منها فمات وعندها قتلت المرأة قصاصاً[١].

وكان من إحسان النبي ﷺ معاملة يهود خيبر أنه كان من بين الغنائم عدة صحائف من التوراة فطلب اليهود ردها، فأمر النبي ﷺ بتسليمها اليهم ولم يصنع صنع الرومان حين فتحوا أورشليم وأحرقوا الكتب المقدسة وداسوها بأرجلهم ولا صنع صنيع النصارى في حروب اضطهاد اليهود في الأندلس حين أحرقوا صحف التوراة[٢].

فما أحوجنا اليوم ونحن أمام مخططاتهم التآمرية أن نتوقف عن الذنوب والمعاصي ونتمسك بالشرع الإسلامي ونحلل الحلال ونحرم الحرام حتى نحقق التمكين والنصر فأعداء الله عرفوا ان الذنوب والمعاصي تقضي على الأمة وتحرمها النصر والمعية مع الله فقاموا بكل ما أمكنهم من دهاء لبث البرامج الإباحية والقنوات الفاجرة والأغاني الماجنة وتزويد شركات الفن والمنتديات الإلحادية بالمال والأفكار وتمييع الشباب وتشويه الحجاب بتضييقه وتعددت الأساليب في نشر أفكار

(١) ينظر: صحيح البخاري، كتاب الطب، حديث (٥٧٧٧) ص ١٠١٩، وينظر: البداية والنهاية، ج٢، ص٢٦٨-٢٧٠.

(٢) موقف اليهود من الإسلام والمسلمين: الدكتور محسن عبد الحميد شركة الرشد للطباعة والنشر ١٩٩٦، ص٧-٩.

الكفر والفتاوى التي تبيح الحرام والمعاصي حتى وقعت الأمة في أحضان اليهودية وتحت سلطانها فما أحوجنا للعودة ودراسة السيرة وأحداثها وأساليب النبيﷺ في التعامل مع هؤلاء الحاقدين ففيها دروس ومواعظ بليغة.

ثانياً: الموقف من المنافقين

لقد عامل الرسول ﷺ عبر مسيرته الدعوية المنافقين على أنهم من أهل الإسلام على الرغم من معرفته بنفاقهم وبطلان إيمانهم فقد استند على الظاهر من أعمالهم لا على ما كمن في قلوبهم واستقر في صدورهم فمرد ذلك أن قلوب العباد لا يطلع عليها إلا الله. وهذا أصل عظيم وقاعدة لصدور الأحكام يمكن أن يستفاد منها في الحكم فالحاكم يعتمد على الأدلة المحسوسة المادية لا على الظنية الفكرية والحدس الذي لا يغنى من الحق شيئاً.

فالسيرة استعرضت المنافقين وكيفية التعامل معهم فهذا عبد الله بن أبي بن سلول يثير القلاقل والشبهات بين المسلمين ويدافع عن يهود بني قينقاع بعد أن حاصرهم رسول الله ﷺ مدة من الزمن فيقول: ((يا محمد، أحسن في موالي، فلم يلتفت إليه رسول الله ﷺ وكرر ثانية فأعرض عنه رسول الله ﷺ فأدخل يده في جيب درعه ﷺ فقال له: أرسلني قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة ؟ إني والله امرؤ أخشى الدوائر فأمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أذرعات الشام وهلك أكثرهم فيها))[1].

وكان لعبادة بن الصامت ﷺ حلف مع هؤلاء اليهود لكنه قال لرسول الله ﷺ إنني أتولى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم.

فهنا نجد موقفين متغايرين لمسلم في الظاهر ومنافق في الباطن ولمؤمن صادق ونزل القرآن يبين حقيقة النفاق قال ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم

(١) البداية والنهاية،ج٢، ص٥٢.

مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾[1].

ولعل أبرز مواقف المنافقين في التأليب على الإسلام والطعن في مقدساته ما وقع منهم في بناء مسجد الضرار.

فتذكر لنا كتب التاريخ أنه كان في المدينة رجل من الخزرج اسمه أبو عامر الراهب، وكان قد تنصر في الجاهلية وكانت له مكانة عند الخزرج، فلما أسس الرسول ﷺ دولته في المدينة وعلا شأن الإسلام، لم يستطع أبو عامر كتم غيظه وأشاع بالعداوة لرسول الله ﷺ ثم خرج فاراً إلى كفار مكة يشجعهم على حرب رسول اللهﷺ، ولما فشلت محاولاته في إخماد نور الإسلام وزاد الله الإسلام رفعة، ذهب إلى هرقل ملك الروم يستعين به على النبي ﷺ، فأقام عنده وأعطاه هرقل العهود على المناصرة، وكتب إلى جماعة من المنافقين في المدينة يخبرهم بما وعده بأن يأتي بالكتب من عنده[2].

فشرعوا في بناء مسجد قريب من مسجد قباء، ولما فرغوا من بنائه وعللوا بناءه أنه للضعفاء وأهل العلة طلبوا من النبي ﷺ أن يصلي فيه لكن الله ﷻ عصمه من الصلاة فيه وقال (إنا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله) وفي طريق رجوعه من تبوك إلى المدينة نزل جبريلعليه السلام بخبر مسجد الضرار وما قصده بانوه من التفريق بين جماعة المسلمين، فبعث رسول الله ﷺ من يهدم ذلك المسجد قبل وصوله المدينة.

إن خطورة المنافقين تكمن في العمل خفية لتخطيط المؤامرات ونسج المكائد والإعلام النفسي لتثبيط الهمم والعزائم فمؤامرة بناء مسجد الضرار على غرار مسجد قباء واغتنام فرصة صلاة الرسول فيه لإقامة حجة الصلاة ذريعة لمشروعية تأسيسه فهذا تطور خطير لأساليب المنافقين يحتاج إلى ردع حازم وموقف يجابه

(١) المائدة: الآيتان / ٥١-٥٢.

(٢) البداية والنهاية: ابن كثير، ج٣، ص١٥٥. السيرة النبوية للصلابي، ص٨١٥-٨١٦، فقه السيرة محمد سعيد رمضان للبوطي، ص٣١٢.

الدسائس بشدة وقوة لإيقاف مثل هذا المد من المؤامرات وقد أنزل الله ﷻ في القرآن الكريم ما يفضح المنافقين ويكشف خباياهم الدنيئة ليكون هذا التنزيل وصمة في جبين كل منافق إلى يوم الدين وليخبر عن حقيقة كل منافق قال ﷻ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[١].

ونرى الموقف الحازم في مواجهة تآمر المنافقين وهو هدم مسجد الضرار وحرقه وكم من مؤسسات اليوم وأبنية أسسها المنافقون قاصدين التفريق وتشكيك المسلمين بعقيدتهم فدور الدعارة ومحلات شرب الخمور والملاهي والمطابع والصحف التي تنشر الأفكار الفوضوية العلمانية والتكفيرية والاستهزاء بالشرع والعقيدة الإسلامية كلها تشبه مسجد الضرار تحتاج إلى مواقف حازمة، ويذكر ابن القيم أن هدم مسجد ضرار يؤخذ منه الحكم على كل ما يشابهه[٢].

وعلى المسلم أن يحذر في تعامله مع هذه المؤسسات ويحفظ نفسه وأهله من دخول تلك الأماكن الفاسدة ومما يعصر القلب وتدمع له العين وأننا نرى الشباب المسلم يدخل في تلك المؤسسات التعليمية المشبوهة في بلادنا مثل الكلية الأمريكية في القاهرة التي أصبحت تعرف بالجامعة الأمريكية والكلية الفرنسية في لاهور والجامعة الأمريكية في بيروت[٣].

ومن الجدير بالذكر أن مواجهة الخصوم تتطلب حكمة وخطة من قبل الدعاة أما المواجهة العشوائية فلا طائل منها.

---

(١) التوبة: ١٠٧-١٠٨.

(٢) زاد المعاد لابن القيم ج٣، ص١٧.

(٣) حروب الغرب المقدسة على الإسلام، ص١٢١.

فالمواجهة المسلحة مشروطة بالأمن من الفتنة بأن تكون للمسلمين شوكة وقوة ودولة[١] بحيث لا يؤدي إلى الفتك بالمسلمين واجتثاث الدعاة من بلدانهم، فما قام به بعض المسلمين من المواجهة المسلحة في دول أهل الكفر قد أعطى الفرصة للكفرة لاستباحة دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم كما حدث في العراق وأفغانستان وغيرهما إذ دخل الأعداء هذه البلدان بحجة أنها تحتضن قوى إرهابية خطيرة على بلادهم مما فتح الطريق أمام الخصوم الذين هم أقوى عدة وعتاداً للتدخل السافر في دول المسلمين الضعيفة المفككة و تشويه صورة الإسلام وإلصاق تهم الإرهاب بهذا الدين والدعوة إلى تغيير المناهج فأصبح قطع اليد عملاً بربرياً همجياً وارتداء الحجاب عملاً متخلفاً يجب القضاء عليه وتحرير المرأة المسلمة منه والصلاة في المساجد صورة للتجمع الإرهابي المرفوض.

فالمواجهة مع الخصوم رسمتها السيرة بأروع صورة من مرحلة الضعف في مكة إلى مرحلة دولة الإسلام في المدينة فلابد من إتباع السيرة في كيفية تعامل المسلمين مع خصومهم.

ثالثاً: مواقف نبوية رفيعة في التعامل مع الخصوم

١. موقف الرسول الله ﷺ من سهيل بن عمرو عند دخول الرسول ﷺ مكة يوم الفتح فيذكر سهيل عن نفسه أنه لما وصل الرسول ﷺ وظهر دخلت إلى بيتي وأغلقت عليّ بابي وأرسلت إلى ابني عبدالله أن يطلب لي جواراً من محمد وجعلت أتذكر اثري عند محمد وأصحابه فليس احد أسوأ أثراً مني وكنت الذي كاتبته يوم الحديبية وكلما تحركت قريش في الحرب كنت فيها فذهب عبد الله بن سهيل إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله تؤمنه؟ فقال: نعم هو آمن بأمان الله فليظهر فقال رسول الله ﷺ لمن حوله (من لقى سهيل بن عمرو فلا يشد النظر إليه، إن سهيلاً له عقلُ وشرف) فخرج عبدالله إلى أبيه يخبره فقال سهيل: كان والله براً صغيراً وكبيراً وخرج إلى حنين مع النبي ﷺ وهو على شركه حتى أسلم

(١) مقدمة أبن خلدون، ص٢٠٧. السيرة النبوية للصلابي، ص٤٥٧.

بالجعرانة[١] فانظر لمعاملة الرسول ﷺ مع هؤلاء المشركين في التلطف والصبر معهم.

٢. إسلام صفوان بن أمية، أما صفوان فقد هرب بعد الفتح إلى خارج مكة حتى أتاه عمير بن وهب وقال له: إن رسول الله ﷺ قد أمنك فرجع صفوان إلى مكة وكان رسول الله ﷺ يصلي بالمسلمين العصر بالمسجد فلما سلم من الصلاة صاح صفوان يامحمد إن عمير بن وهب جاءني ببردك وزعم أنك دعوتني إلى القدوم عليك فإن رضيت أمراً وإلا سيرتني شهرين، فقال رسول الله ﷺ: انزل أبا وهب، قال: لا والله حتى تبين لي، قال: بل تسير أربعة أشهر، فنزل صفوان وبعد غزوة حنين والطائف رجع صفوان مع رسول الله ﷺ إلى الجعرانة[٢] فبينما رسول الله ﷺ يسير في الغنائم ينظر إليها ومعه صفوان جعل صفوان ينظر إلى شعب مليء نعماً وشاء ورعاء فقال رسول الله ﷺ: هو لك وما فيه، فقال صفوان: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي فأعلن إسلامه وقال: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وانه لأبغض الناس إلي فما برح يعطي حتى إنه لأحب الناس إليّ[٣].

٣. إسلام والد أبي بكر الصديق ﷺ كان تواضع النبي ﷺ سبباً في إسلام والد أبي بكر الصديق ﷺ لما دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده فلما رآه رسول الله ﷺ قال: هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه ثم أجلسه بين يديه ومسح صدره ثم قال له: أسلم فأسلم. وفي هذا منهج تربوي لاستخدام أساليب اللطف والاحترام مع الخصم[٤].

---

(١) ينظر المعارف: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت٢٧٦هـ)، ص١٦١. أسد الغابة في معرفة الصحابة: لعزالدين أبي الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري،ج٢،ص١٦٤. السيرة النبوية للصلابي،ص٧٥٣.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير الجزري، ج٢،س٤٢٥.

(٣) سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ج٢،ص٥٦٦.

(٤) ينظر أسد الغابة ابن الأثير الجزري،ج٣،ص٣١٥، السيرة النبوية للصلابي، ص٧٥٧.

٤. عفو النبي ﷺ وحلمه كان سبب إسلام فضالة بن عمير[١] الذي كان يريد قتل النبي ﷺ عندما كان يطوف بالبيت الحرام فعفا عنه رسول الله ﷺ ومسح صدره فأسلم وكان أيضاً عفو النبي ﷺ سبباً في إسلام عبد الله الزعبري شاعر قريش[٢].

وفي الختام فإن تنوع الأساليب الدعوية في التعامل مع الخصوم تقتضي اختيار الشكل المناسب لكل موقف فتارة أسلوب الترهيب وأخرى الترغيب وأخرى الخلق الحسن فمن رفق ولين إلى شدة وعنف ومن عفو وصفح إلى قوة وبطش[٣] فليس الهدف من التعامل مع الخصوم هو القضاء عليهم فالغاية العظمى للإسلام إرشاد الناس وتوجيههم إلى حقيقة الدين وهذا يحتاج إلى صبر وحلم وأخلاق رفيعة وهذا لمسناه جلياً ساطعاً في السيرة النبوية.

(١) ينظر أسد الغابة ابن الأثير الجزري، ج٤، ي٢٥، السيرة النبوية للصلابي، ص٧٥٧.

(٢) ينظر أسد الغابة لابن الأثير الجزري،ج٣، ص٥٨، البداية والنهاية لابن كثير،ج٤،ص٣٠٧.

(٣) ينظر أصول الدعوة محمد أبو الفتح البيانوني، ص٢٥٥.

الخاتمة

لقد جمعت في هذا البحث بعض المرتكزات التي اعتمدتها السيرة النبوية عبر رحلتها الدعوية الشاقة وتركتها للأمة دروساً يستفاد منها في الدعوة إلى الإسلام، هذه المرتكزات تحتاج إلى دراسة عميقة وقد حاولت جهدي كشف النقاب عنها وتفصيلها بما يلبي حاجة الدعاة إليها في إحياء هذا المنهج الإسلامي الأصيل المتمثل في حكمة القيادة والتخطيط ونظام الشورى والتعامل مع الخصوم وخلال البحث توصلت إلى نتائج وخلاصات مهمة منها:

١. إن القيادات المسلمة اليوم تحتاج إلى حكمة أكثر من أي وقت مضى خصوصاً مع تنوع أساليب أعداء الإسلام منها النفسية والفكرية واستغلال وسائل الإعلام الحديثة وتسويق البضائع المحرمة للزج بها في الأسواق الإسلامية لإبعاد المسلمين عن دينهم كل ذلك يحتاج إلى حكمة بعيداً عن أسلوب العنف الذي قد يؤدي إلى الكارثة بالمسلمين خصوصاُ مع تقدم الوسائل العسكرية للخصوم.
٢. إن الدعاة بحاجة لدراسة عميقة في السيرة النبوية لدعم مسيرتهم بالمبادئ والقيم التي اعتمدها الهدي النبوي في دعوته لنشر الدين الحنيف.
٣. لقد اتخذت السيرة النبوية نظام التخطيط في كل مراحلها المختلفة وفي الجوانب الحياتية كافة فالعشوائية والعفوية والفوضوية لا أصول لها في الإسلام ولا يمكن الاعتماد عليها في الدعوة، فنظام التخطيط الذي يتشدق به الغربيون في حياتهم وأنظمتهم المختلفة قد اعتمدته السيرة قبل قرون وبذلك فلا حجة لمن يدعي أن التوكل على الله والاعتماد عليه يتحقق بمعزل عن التخطيط البشري.
٤. إن نظام الشورى هو أساس الحرية والحياة المدنية سواء عند الأفراد أو المجتمعات في الإسلام والقيادة المسلمة لا غنى لها عنها فلابد للقائد من مجلس للشورى وأهل حل وعقد في الدولة الإسلامية والشورى نظام أقره القرآن الكريم والسنة النبوية ووقائع السيرة النبوية، كما أن حاجة الدعاة إليه اليوم ماسة قبل اتخاذهم القرارات ولطالما كانت الآراء المختلفة من كل حسب اختصاصه وخبرته تعين في رسم القرار الصائب الموافق للحق من القائد.

٥. إن خصوم الماضي هم خصوم الحاضر مهما اختلفت أشكالهم ولابد من متابعة الهدى النبوي في التعامل معهم.

وما كشفت عنه السيرة في تحديد الخصوم وبيان أوجه التعامل معهم تظهر أهميته للعالم الإسلامي اليوم في أساليب جديدة تتناسب مع التطورات الحديثة المادية والمعنوية فالأعداء تكالبوا على أمة الإسلام لتحطيمها وليفتوا في عضدها فالنصارى واليهود قد اجتمعت قواهم واستباحوا أراضي المسلمين ودماءهم وأموالهم وأعراضهم فما حدث في العراق وأفغانستان ما هو إلا حقيقة أكدتها السيرة ورسمت هيكلها للأمة وحذرت من الوقوع في حبائلها ودسائسها وكذلك ما حصل في قتل الأقليات المسلمة من مذابح بشعة حيوانية في البوسنة والهرسك وبورما وسريلانكا من قتل وحرق للمساجد على أهلها وإنشاء المدارس الإلحادية والمستشفيات التي تبث الأفكار التبشيرية والعلمانية ما هي إلا محاولات لزعزعة المسلمين وصرفهم عن دينهم.

واسأل الله ﷻ أن يجعل هذا البحث في خدمة الدعاة والدعوة لنشر دين الرحمة وعودة الأمة إلى مجدها التليد وسؤددها المجيد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر

بعد القرآن الكريم:

١. أحكام القرآن: الأمام أبو بكر احمد بن علي الرازي الجصاص: تحقيق محمد الصادق (ت٣٩٠هـ)، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، الناشر دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعزالدين أبي الحسن علي بن محمد ابن الأثير الجزري، (٥٥٥هـ-٦٣٠هـ)، تحقيق خالد الطرطوشي،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.
٣. أصول الدعوة: لعبد الكريم زيدان،١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.
٤. أصول الدعوة: لمحمد أبي الفتح البيانوني – من مطبوعات إدارة الشؤون الإسلامية في وزارة الأوقاف في دولة قطر ١٤٢٤-٢٠٠٣م.
٥. البداية والنهاية: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٠١-٧٧٤هـ) تحقيق جودة محمد جودة حسني، الطبعة الاولى، دار ابن الهيثم، مصر.
٦. بين العقيدة والقيادة: محمود شيت خطاب – دار القلم، دمشق، الطبعة الاولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، النشر الدار الشامية.
٧. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله بن الأنصاري القرطبي، ت ٦٧١هـ-١٢٧٣م، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م. الناشر دار الفكر بيروت.
٨. حروب الغرب المقدسة على الإسلام، الحسيني الحسيني المعدي،ط١، ٢٠٠٧، الناشر دار الكتاب العربي القاهرة.
٩. الرحيق المختوم: صفي الرحمن المبار كفوري – المطبعة العالمية الطبعة الاولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م توزيع مكتبة العلم الحديث.
١٠. زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، حققه الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط١، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، الناشر دار الرسالة -بيروت.

١١. السياسة الشرعية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن تيمية تحقيق محمد المبارك (٧٢٨هـ) دار المعرفة – بيروت.
١٢. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت٧٤٨هـ)، حققه شعيب الأرناؤوط، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م. مؤسسة الرسالة – بيروت.
١٣. السيرة النبوية دروس وعبر، د. مصطفى السباعي الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي- بيروت.
١٤. السيرة النبوية للصلابي، محمد الصلابي،ط٤، ٢٠١٢م، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، مصر - القاهرة.
١٥. الشورى في الإسلام، خالد أبو سمرة – دار ابن حزم للنشر.
١٦. صحيح البخاري: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري،١٩٤هـ-٢٥٦هـ، ط٢، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م، دار الفيحاء -دمشق دار السلام للنشر والتوزيع.
١٧. فقه السيرة: محمد سعيد رمضان البوطي، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، دار الفكر للتوزيع والنشر، دمشق.
١٨. قراءة سياسية للسيرة النبوية: محمد رواس قلعه جي الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، دار النفائس للطباعة والنشر – بيروت.
١٩. مأساتنا والحل: الدكتور مهدي بن على قاضي، الطبعة الأولى – دار المحمدي للنشر،١٤٢٢هـ.
٢٠. المعارف، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت٢٧٦هـ)، ط٣، ٢٠١١م، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان.
٢١. مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق حامد أحمد الطاهر – الطبعة الثانية ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، الناشر دار الفجر للتراث- القاهرة.
٢٢. موسوعة نضرة النعيم، إعداد مجموعة من المختصين، الطبعة ٧، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، المملكة العربية السعودية دار الوسيلة للنشر والتوزيع.
٢٣. موقف اليهود من الإسلام والمسلمين: الدكتور محسن عبد الحميد شركة الرشد للطباعة والنشر ١٩٩٦.